ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٤٢٤) / عبد الحليم الغزّي
صولة القمر (ج٤٤)
صناعةُ الدين المُزيَّف عبر الثالوث المُنجَّس: المرجع ، التقليد ، الخُمس (ق٤)
جولة في كواليس المسرح الطوسي ج١
الجمعة : ١٤/شوال/١٤٤٤هـ - الموافق ٥/٥/٢٠٢٣م

"صناعَةُ الدِّين المُزَيَّف عبرَ الثَّالُوث المُنَجَّس"، الثَّالُوثُ المُنجَّس؛ "المَرجعُ، التَّقْليدُ، الخُمْس"، هٰذا هُو عُنوانُنا الكبير وهٰذا هُوَ القِسْمُ الرابع.
فِي هٰذه الحلقة فإنَّني سَأفتحُ عُنواناً صغيراً يكونُ في هٰذه الحلقة وفي الحلقة الَّتي بعدها: "جَوْلَةٌ في كَواليس المسرح الطوسي"، وهٰذَا هُوَ القِسْمُ الأوَّل من هٰذا العنوان، لأنَّ الَّذي يُعرَضُ على خشبة المسرح شيءٌ والَّذي يَدورُ في الكواليس شيءٌ آخر، سأضربُ لَكُم أمثلةً من واقع هٰذه الكواليس.
**ألْفتُ نَظرَكُم إلىٰ نُقطة مُعيَّنة:** هل لاحظتُم من أنَّني طيلة الحلقات المتقدِّمة وأنا أُحدِّثكُم عن علْمِ أصول الفقه في أجواء السقيفتين لَيسَ هُناكَ من ذِكرٍ للعَترة الطاهرة؟! القضيَّةُ واضحةٌ لأنَّ هٰذا الموضوعَ لا عَلاقة لهُ بالعترَة الطاهرة.
**تعالوا معي كي نَدخُلَ في كواليسِ مسرحِ المَذْهَب الطوسي:**
المؤسِّس الثاني للمَذْهب الطوسي العلّامةُ الحلّي، الحسنُ بنُ المطهَّر الحلّي، المتوفّى سنة (٧٢٦) للهجرة، هُناكَ شيءٌ في أجوائنا الشيعيّة على الأقلِّ تَعلَّمناهُ وسَمعناهُ وقرأناهُ أيضاً من أنَّ العلّامة الحلّي هُو الَّذي كانَ سَبباً في تَشيّع المغول، وهٰذا الكلامُ أنا شَخصيّاً سمعتهُ في صغري من خُطباء المنبر الحُسينيّ مراراً وكراراً، وسمعتهُ من أبي مَرّةً يُحدِّثُني به ومرّةً يُحدِّثُ الآخرين، وقرأتهُ في كُتُبِ عُلماء الشيعة مراراً وكراراً، خُصوصاً وأنّي مُولَعٌ بِكُتب التأريخ والتراجم إنَّني أ قرؤها وأعودُ إلى قراءتها مَرّةً أخرى، هٰذه القَضيّةُ كانت عندي من البديهيّات، ولقد تَحدَّثتُ بها على المنابرِ وفي المحافلِ وفي الدروس، لكنّ القضيّة ليست كذٰلك، الموضوعُ مُعقَّدٌ وشائكٌ لا أريدُ أن أتوغَّلَ في تأريخ المَغول..
هُناكَ صورةٌ ماذا أقولُ عنها تقليديّةٌ نَمَطيّةٌ كما يقولون، صورةٌ جاهزةٌ في أذهاننا تَعلَّمناهَا منَ الثقافة الحكوميّة ومن الثقافة المجتمعيّة الَّتي هي انعكاسٌ عن الثقافة الحكوميّة، حينما نذكرُ المغول فإنَّنا نذكرُ الهمجيّة والوحشيّة، صحيحٌ هٰذا ذُكرَ في كُتب التأريخ لكن عليكُم أن تَعرِفوا من أنَّ حُكّام المغول ومُنذُ جنكيز خان هم أكثرُ حُكّامِ العالَمِ في زمانهم حِكْمةً في السياسة، وأكثرُ حُكّام العَالَمِ حِكْمةً في تدبيرِ الأمورِ وإدارةِ شُؤونها، الهَمجيّةُ والوحشيّةُ اتَّخذوها ستراتيجيّةً في الهَيمنة على الشعوب..
الصورةَ الَّتي في أذهاننا عن المغول لَيست دَقيقةً، أُخذَت لَقطةٌ وهي لَقطةُ الهَمجيّةِ والوحشيّة؛ إنَّهُ الأسلوب الَّذي يتعامل به المغول معَ الَّذينَ لا يخضعونَ لطاعَتهم، المدن الَّتي خضعت لطاعتهم من دُون قتالَ لم يُسيئوا إليها أبداً..
• بيَّنتُ لَكُم هٰذه المقدِّمة كي أذهبَ إلى النُقطة الَّتي أريدُ أن أُحدِّثكم عنها من أنَّ المغولَ كانوا سَبباً في انتشارِ المَذْهَب الطوسي.
**علاقةُ المغول بالشيعة بدأت من هٰذه النقطة** ؛ من علاقة هولاكو بنصير الدين الطوسي، نصير الدين الطوسي عالمٌ شيعيّ، لا أريدُ أن أخُوضَ في تأريخه، كانَ مُلمّاً بثقافة عصره، كانَ عالماً موسوعيّاً في زمانه، حكايتهُ طويلةٌ، لَمّا وصلَ هولاكو لمُحاصرة قَلعة الإسماعيليّين في شمال إيران، نصير الدين الطوسي كانَ موجوداً في تلكَ القَلعة، كانَ موجِ وداً برغبته، جاءوا به سَجيناً، هٰذا موضوعٌ بحاجة إلى الدخولِ في تَجاويفه وتلافيفه، والمقامُ لَيس مُنعَقداً لهٰذا، هولاكو جاء لمُحاصرة تلكَ القلعة لإخضاعها لسُلطته، قَطعاً المدن الَّتي رفضت الخُضوعَ لهولاكو فتحها بالقُوّة ودَمَّرها وقَتلَ أهلَها، القلعةُ الإسماعيليّةُ رفضت الخُضوعَ لهولاكو، نَصيرُ الدين الطوسي أقنعَ أحدَ الأُمراء الشباب أن يَتسلَّلَ من القلعة وأن يلتحقَ بهولاكو، نصير الدين الطوسي كانَ دَاهيةً، إنَّهُ يُريدُ أن يُشعرَ هولاكو بأنَّ نصير الدين الطوسي يميلُ إلى هولاكو، وفعلاً نجحَ الأمر، فقد عَملَ هٰذا الأميرُ الشاب من أُمراء الإسماعيليّين وفَرَّ من القلعة والتحقَ بهولاكو وأخبرَهُ بأنَّ الَّذي أشارَ عليه بذٰلك هو نصير الدين الطوسي العالمُ الشيعي، استطاعَ هولاكو أن يَفتح القلعة الإسماعيلية وأن يُسيطرَ عليها، التحق نصير الدين الطوسي بهولاكو، فَقَرّبهُ وصارَ الوزيرَ الأوَّل عندَ هولاكو، كانَ هولاكو يستشيرهُ في الأمورِ المهمّة جِدّاً، في الأمور الكبيرة، ويأخذُ بقراره حتّى لو اختلفَ بَقيّةُ مُستشاريه في الرأي معَ نصير الدين الطوسي، نَصير الدين الطوسي هٰذا العالمُ الشيعيُّ هُو الَّذي دَفعَ بهولاكو باتجاه بغداد للقضاء على العبّاسيّين، وفعلاً حَدَثَ هٰذا وتَوجَّه هولاكو إلى بغداد وقضى على العبّاسيّين وأصبحت بغدادُ تَحتَ سُلطة المغول، هٰذه حقيقةٌ، كُلُّ الوَثائقِ وكُلُّ المعطَيات تقولُ بهٰذا، بالنسبة للشيعة هٰذا أمرٌ لا يُوجَدُ ما هُو أفضلُ منه، بالنسبة للسُنَّة هٰذه خيانةٌ..
نصير الدين الطوسي يُعدُّ من أساتذة العَلّامة الحلّي، وأهمُّ كتابٍ يُدرَّسُ في الحوزة الطوسيّة في العقيدة الشيعيّة الطوسية هُو (شرحُ التجريد)، مَتْنٌ مُختصرٌ في العقيدة الشيعيّة الطوسيّة كَتبَهُ نصير الدين الطوسي، وشَرحهُ العلّامةُ الحلّي، (كشفُ المراد في شرح تجريد الاعتقاد)..
**العقيدةُ الَّتي كتبها الطوسي وشرَحَها الحلّي؛**
- عقيدةٌ بظاهرها شيعيّةٌ.
- بِروحِها وطَعمها الحقيقيّ مُعتزليّةٌ بتمام ما تَدلُّ عليه هٰذه الكلمة..
هُناكَ من يقولُ؛ يُريدونَ أن يَجدوا عُذراً لنصير الدين الطوسي من أنَّ هولاكو بعد ذٰلكَ ساءت علاقتهُ بنصير الدين الطوسي، وهٰذا الكلامُ لَيسَ صحيحاً، الدليلُ أولادُ نصير الدين الطوسي استمرّت علاقتهُم بسلاطين المغول وكانت لَهُم الحظوة والمنزلة العالية، فَمن بعد أبيه نصير الدين الطوسي جاء ولدهُ أصيلُ الدين حسن الطوسي..
ما حَدَّثتكُم به عن نصير الدين الطوسي يُمكنكُم أن تجدوا المعلومات على سبيل المثال في الجزء السادس من (روضاتُ الجنّات في أحوال العُلماء والسّادات)، لمحمّد باقر الخَوانساري، طبعةُ الدار الإسلاميّة/ بيروت - لبنان/ رقمُ الترجمة: (٥٨٨)، صفحة: (٢٧٨) ما ذكرَتهُ موجودٌ في صفحة: (٢٩٣) وما بعدَها..
في الجزء الثامن من (روضاتُ الجنّات) لمحمّد باقر الخوانساري، رقمُ الترجمة: (٧٤٩)، ترجمةُ والد العلّامة الحلّي؛ يوسُف بنُ عليّ بنِ المطهّر الحلّي، صفحة (١٨٤ ) ينقل صاحبُ الروضات عن العلّامة الحلّي وهُو يُحدِّثُنا عن أبيه، جاء في كتابٍ من كُتبِ العَلّامة الحلّي (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين صلواتُ اللّه عليه)، تَحدَّثَ العلّامةُ الحلّي عن إخبار الأمير بالمغيّبات، ومن جملة ما أخبر به أنَّ المَغولَ سَيسيطرونَ على بغداد وسيقضونَ على العَبّاسيّين، العلّامةُ الحلّي عَلَّقَ على هٰذا الموضوع ما رَواهُ عن والده: من أنَّ والدهُ معَ بعض رجالات الشيعة في الحلّة كاتبوا هولاكو قبلَ أن يفتحَ بغداد وقبلَ أن يُسيطرَ على بغداد، كاتبوه وبعدَ ذٰلكَ ذَهبَ المطهَّر الحلّي والتقى به: **فكانَ من جُملة القليل** - من جُملة القليل الَّذينَ بقوا في مدينة الحلّة، فإنَّ النَّاسَ فَرّت منَ المدن لَمّا سمعت بأنَّ جَيشَ المغول دخلَ الأراضي العراقيّة باتجاهِ بغداد، فَرّوا إلى الصحاري، فَروا إلى البساتين، خَرجوا من المدن - **والدي رَحِمهُ اللّه، والسَيّد مَجدُ الدين ابنُ**

**طاووس** - آلُ طاووس مَعروفُونَ في الحلّة، وهُم عشيرةٌ كبيرةٌ، لا ندري مَن هُوَ هـٰذا، لكن يبدو أنَّهُ شَخصيّةٌ مُهمّةٌ - **والفقيه ابن أبي العُرفاء** - أيضاً لا نعرفُ شخصيّة هـٰذا الفقيه، على الأقلّ في الوقت الحاضر لا نَمتلكُ معلومات عن هاتين الشخصيّتين - **جَمعَ رَأيهُم على مُكاتبة السُلطان** - مُكاتبة هولاكو - **بأنَّهم مُطيعونَ دَاخلونَ تحتَ الإيليّة** - "الإيليّة"؛ هي المملكةُ المغوليّة، يعنَي سُلطة سُلطان المغول - **و أنفذوا به شَخصاً أعجَمياً، فأنفذَ السُلطانُ إليهم فَرماناً مَعَ شَخصين، أحدُهما يُقالُ له نكله، والآخرُ يُقالُ لهُ علاء الدين، وقال لَهُما قُولا لَهُم: إن كانت قُلوبُكم كما وردَت به كُتبُكُم تحضَرونَ إلينا، فجاء الأميران** - نكله وعلاء الدين - **فَخافوا لعدم مَعرفَتهم بما ينتهي الحالُ إليه، فقالَ والدي رَحمهُ اللّه: إن جِئتُ وحدي كفى؟ فقالا: نعم** - الأميران اللّذان جاءا من قبل هولاكو - **فأصعدَ مَعهما** - ذَهبَ باتجاه هولاكو - **فلَمّا حضرَ بَين يَديه وكانَ ذٰلكَ قبلَ فتح بغداد وقبلَ قتل الخليفة قال لهُ** - هولاكو يقول ليوسف والد العلّامة الحلي - **قال لهُ: كيف قَدمتُم عَلى مُكاتبتي والحضورِ عندي قبلَ أن تَعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمرُ صاحبكُم** - أمرُ صاحبكُم يعني الخليفة العبّاسي، إنَّهُ المستعصمُ باللّه العباسي - **وكيفَ تَأمَنون أن يُصالحني ورحلتُ عنه، فقالَ والدي: إنَّما أقْدَمنا على ذٰلك لأنَّا رَوينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام أنَّهُ قالَ في خُطبته الزَّوْراء؛ ومَا أدراكَ مَا الزَّوراء أرضٌ ذاتُ أثلٍ يُشَيَّدُ فيها البُنيان وتَكثُرُ فيها السُكَّان ويكونُ فيها مهادمٌ وخُزَّان يتَّخذها وُلْدُ العبّاسِ مَوطناً ولزخرفهم مَسكَناً، تكونُ لَهم دار لَهْوٍ ولَعب، يَكُونُ بها الجَوْرُ الجائر والخوفُ المُخيفِ والأئمَّةُ الفَجَرة والأمَراء الفَسَقَة والوُزراء الخَوَنة، تَخدمُهُم أبناءَ فارسَ والرُوم، لا يَأمرونَ بمعروف إذا عَرفُوه ولا يَتناهُونَ عن مُنْكَرٍ إذا أنكروه، تَكتَفي الرِجَالُ منهُم بالرِجَال** - هـٰذه العلامةُ الواضحةُ في المنهج العبّاسي والّتي انتقلت إلى المَذاهب العبّاسيّة بما فيها المَذْهَب الطوسيّ القَذر - **وَالنِّساء بالنِّساء، فَعندَ ذٰلكَ الغَمُّ العَميم وَالبُكاءُ الطَّويل والوَيلُ والعَويل لأهْل الزَّوْراء من سَطوات التُرك** - المغولُ قَومٌ من الترك - **وهُم قَومٌ صغارُ الحَدَق** - "صغارُ الحَدَق"؛ عُيونَهُم صغيرة - **وُجوهُهم كالمجَانِّ المُطْرَقة** - "المَجَان المُطرَقَة"؛ المَجان جمعٌ لمجَنَّة، والمَجَنَّةُ قد يُقصدُ منها التُرْس الَّذي يستعملهُ المقاتلون في الحرب كي يتَّقوا به ضرب الأعداء، وقد يُقالُ أيضاً هـٰذا التعبير لمَا يُقالُ لَهُ السِّنْدان أو السِّنْديان عندَ الحَدّاد، وهي قطعةٌ حَديديَّةٌ سَميكةٌ تَكونُ مُسطَّحةً قد تكونُ مُدوَّرةً قد تكونُ مُربّعةً، تكونُ مُسطَّحةً وفيها شيءٌ من الارتفاعِ في وسطها، فالإمام هُنا يُشبّه وُجوهَهُم بالمَجَانّ المُطْرَقة، وجوهٌ عريضةٌ مُسطَّحةٌ تكادُ أن تَكونُ مُتساويةً - **لبَاسُهُم الحَديد** - وهـٰذا هُو لباس المغول - **جُرْدٌ مُرْد** - "جُرْدٌ مُرْد"؛ هـٰذه صفةٌ واضحةٌ في المغول، "جُرْد"؛ أبدانُهم ليست مُشعرة، "والأمرد"؛ هُو الَّذي لا تَنبتُ لحيتهُ وشاربهُ، وهـٰذه الصفةُ كانت ظاهرةً في المغول - **يَقدمهُم مَلكٌ يَأتي مَن حَيثُ بَدا مُلْكُهُم** - "من حَيث بَدا مُلْكُهُم"؛ من بلاد المغول - **جَهْوَريّ الصَّوتْ قَويّ الصَّوْلَة عَالي الهِمَّة** - هـٰذه صفاتُ هولاكو - **لا يَمرُّ بمَدينَة إلَّا فَتحَهَا وَلَا تُرْفَعُ عَليه رَايَةٌ إلَّا يَكْشفُهَا، الوَيلُ الوَيلُ لمَن نَاوَاه، فَلا يَزَالُ كَذٰلك حَتَّى يَظْفَر، فَلَمَّا وَصَفَ لَنَا ذٰلك** - هـٰذا كلامٌ يُوسُف والد العلّامة - **فَلَمَّا وَصَفَ لنا أميرُ المؤمنين ذٰلكَ ووَجدنا الصِّفاتَ فيكُم رجوناكَ فَقصدناك، فَطَيّبَ قُلُوبَهُم وَكَتبَ لَهُم فَرماناً لَهُم بَاسم والدي رَحمه اللّه يُطَيّب فيه قُلُوب أهل الحلّة وأعمَالها** - وفعلاً وفي بعهده لم يَتعرّض للحلّة بسوء وأرسلَ حَاميةً للمدينة بقيت خارج المدينة، كانوا يدخُلُونَ إلى السوق في أوقاتٍ مُعيّنة لشراء حاجتهم، وعَمّر ما عَمّر لَهُم من شؤون الحلّة الَّتي كانت بحاجة إلى إعمار وإلى تعمير، هـٰذا جُزءٌ من علاقة المغول بالشيعة.

فحينَما أقولُ لَكُم من أنَّ المغولَ ساعدوا العلّامة الحلّي في نَشر المَذْهَب الطوسي لم يَكُن هـٰذا قد جاء بشكلٍ مُباغت، القضيّةُ لها تأريخ وهـٰذه اللقطاتُ لقطاتٌ وجيزةٌ..

لابُدَّ أن تَعرفوا من أنَّ ديانةَ سَلاطين المغول مُختَلفة؛

- فَهُناكَ منهُم مَن كانَ وَثنياً.
- وهُناكَ منهُم مَن كانَ بُوذياً.

قد يقولُ قائلٌ: من أنَّ البُوذيَّة هي من الديانات الوَثنيّة أيضاً.

إنَّني أتحدَّثُ عن المصطلحات هُنا..

هُناكَ قولٌ من أنَّ هولاكو تَشيّع على يد نصير الدين الطوسي، لا نَملكُ دليلاً واضحاً على هـٰذا، لكن في كُتُب التأريخ فيما كَتبهُ ابن الفوطي، أو رشيد الدين الهَمداني أو غيرهما، هُناكَ كلامٌ واضحٌ عَن السلطان المغولي غازان بنُ أرغون خان المغولي، غازان صار مُسلماً على المَذْهَب الحنفي، غازان صارت لهُ علاقةٌ خاصَّةٌ بمَن كانَ من عُلماء الأحناف في بلاطه فأثَّروا عليه، غازان مُدَّةُ حُكمه بدأت سنة (٦٩٤)، وفي تلكَ السنة أعلنَ إسلامهُ في بداية حُكمه، وانتهى حُكمهُ سنة (٧٠٣) للهجرة، اعتلى العرش وأعلن بشكلٍ رسمي إسلامَهُ وكانَ على اطّلاعٍ على الإسلام..

صارَ مُسلماً وشرَّعَ ما شَرَّعَ من التشريعات الإسلاميّة عبرَ هـٰؤلاء الفقهاء الأحناف، حكايةٌ طويلةٌ لهـٰذا السُلطان المغولي، لكنَّهُ لم يَكُن يُعادي الشيعة فإنَّ رجال الشيعة كانوا في بلاطه وكانَ يعتمدُ عليهم وكانَ يُقربهم منه.

في بلاط المغول هُناكَ ثلاثةُ مَذاهب كانت واضحة: "الأحناف، الشوافع، والشيعة الطوسيّون"، إنَّها مَذاهبٌ عبّاسيّة، فكانَ الأحنافُ هُم الَّذينَ يُسيطرونَ على دَفَّة الحُكْم حينما تَسلَّط غازانُ المَغولي وصارَ سُلطاناً وحاكماً على البلاد، غازانُ مَشهورٌ عنهُ أنَّهُ كانَ مُحباً للهاشميّين، وكانَ يُغدقُ بالأموال عليهم، وغازانُ أيضاً ذهبَ إلى زيارة مشاهد الأئمَّة في العراق فَزارَ النَّجفَ وزارَ كربلاء وزارَ الكاظميَّة وأحسنَ إلى أهلِ تلكَ البِقاع..

توفِّي سنة (٧٠٣) غازان فجاءَ من بعده أخوهُ أولجايتو خان، فهو أيضاً ابن أرغون شاه الَّذي كانَ سلطان للمغول قبلَهما، أولجايتو أُمّه كانت مَسيحيَّةً ولذا عَمّدتهُ تَعميداً مَسيحياً وأسمته نيقولا تَيمّناً باسمِ بابا المسيحيين آنذاك، البابا نيقولا الرابع، أولجايتو الاسم المغولي، نيقولا الاسم المسيحي لكنَّهُ صارَ مُسلماً فَسُمّي مُحمّد خدابنده، خدابنده يعني عبد اللّه.

في بادئ أمره كانَ حَنفياً على المَذْهَب الحنفي مثلما كانَ أخوه، فلا زالَ الأحنافُ في البلاط المغولي لَهُم اليدُ العُليا، ولكنَّ الشوافعَ بعد ذٰلكَ تَحرّكوا عليه وأقنعوه فصارَ شافعياً، فانحسرَ وجودُ الأحناف في البلاط المغولي، لا يعني أنَّهم خرجوا من البلاط، وإنَّما انحسرَ وجودُهم ضَعُفَ تأثيرهُم، المغولُ ما كانوا يفرضونَ على أحد ديناً، إلَّا ما فعلهُ غازان فإنَّهُ فرضَ الإسلامَ على البُوذيّين من المغول خيَّرهم بينَ أن يدخلوا الإسلام أو أن يعودوا إلى بلادهم، البعضُ منهُم اختارَ الإسلام ولكنَّهُ هَدَّدهُم من أنَّهُ سيقتلهم إذا ما تَحدَّثوا عن البوذيَّة، والبعضُ منهم رجعوا إلى بلادهم الأصليّة، صارَ شَافعياً فَحدَثَ خَلافٌ كبيرٌ فيما بينَ الأحناف والشوافع في داخل البلاط المغولي انعكس على الشارع الإيراني، لأنَّ عاصمةَ المغول كانت في إيران ما بين مدينة مراغا في تبريز، وما بَينَ مدينة سُلطانيّة في مُقاطعة زنجان، حدثت فتنةٌ دينيّةٌ بينَ النَّاس سَبّبت مُشكلةً نَفسيّةً لأولجايتو خان للسلطان المغولي، صارَ في شَكٍّ من دينه، يقول المؤرخون من أنَّهُ بَقي ثلاثة أشهرٍ هُو حائرٌ هل يعودُ إلى دين آبائه وأجداده إلى ديانة جنكيز خان المغوليّة الأصليّة، أم أنَّهُ يبقى على دين الإسلام، في هـٰذه الأجواء يبدو أنَّ الحادثة حدثت، وإن كانَ هُناكَ من المؤرخين من يقول: رُبَّما تكون هـٰذه الحادثةُ حادثةً مُفتعلةً بالاتفاق فيما بَينَ السُلطان المغولي وبينَ رجال الشيعة الَّذينَ كانوا في بلاطه، الوزيرُ الأوَّل في بلاط أولجايتو خان كانَ شيعياً، وكانَ هُناكَ من الأمراء المغول من الشيعة أيضاً ومن الشيعة المتمسّكين بتشيّعهم.

ما جاء في واقعة تطليقِ أولجايتو خان لزوجته الَّتي يُحبّها، وقد طَلَّقها بالثلاث، في الجزء الثاني من (روضاتُ الجنّات)، الطبعة نفسها الَّتي أشرتُ إليها قبل قليل، ترجمة العلّامة الحلّي، رقم الترجمة (١٩٨)، من الصفحة (٢٧٣ )، نقلاً عن والد الشيخ المجلسي عن محمّد تقي المجلسي، وذكر هذه الحادثة في كتابه الَّذي شَرح فيه كتاب (الفقيه) للشيخ الصَّدوق: **من أنَّ الشاه خدابنده** - الَّذي هو أولجايتو خان - **غَضبَ يوماً على امرأته فقالَ لها: أنتِ طَالقٌ ثلاثاً، ثُمَّ نَدم وجَمعَ العُلماء فقالوا: لابُدَّ من المُحلِّل** - لأنَّهُ في بداية أمره كانَ حَنفياً ثُمَّ صارَ شَافعياً، باعتبار أنَّهُ طَلَّقها ثلاثاً وهُنا قد بانت، فلابُدَّ من مُحلِّل - **فَقال: عندَكُم في كُلِّ مسألة أقاويلُ مختلفَة أوَليسَ لَكُم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا، فَقالَ أحدُ وزرائه: إنَّ عالماً بالحلّة وهُو يَقولُ بِبُطلانِ هذا الطلاق** - لذا هُناكَ مَن يقول بأنَّ القضيّة مُرتَّبةٌ، مَن هُو هذا الوزير؟ هذا الوزير هو سعدُ الدين الساوجي، سعدَ الدين السَاوجي كَانَ شيعياً ومُتعَصباً لتشيّعه، فَربَّما كانت القضيّةُ مُدبَّرةً، وربَّما سألوا العلّامة الحلّي عن طريقة يُحرجونَ فيها الأحنافَ والشوافع ويفتحونَ البابَ للعلّامة الحلّي، ففي كُتُب التأريخ من أنَّ سعد الدين الساوجي هذا وكانَ يُساعدهُ أحدُ أمراء المغول الأمير طرمطاز المَغو لي، وهُناكَ عالمٌ شيعيٌّ موجودٌ في البِلاط هو تاج الدين الآوجي، هؤلاء كانَ لَهُم من التأثير الكبير على أولجايتو خَان، فَربَّما كانَ الأمرُ مُخطَّطاً، لأنَّ هؤلاء قبلَ هذه الحادثة أقنعوهُ أن يذهب إلى العراق إلى زيارة مَشاهد الأئمَّة، وفَعلاً ذهب إلى العراق ولَمَّا وصلَ إلى بغداد اتفقوا مع العلّامة الحلّي أن يَقدمَ إلى بغداد والتقى بالسلطان، من خلال هذه الحادثة هذا يعني أنَّ العلّامةَ الحلّي على معرفةٍ بالسُلطان ولم يَكُن حادثُ الطلاق هو الحادثُ الأوّل الَّذي التقى فيه العلّامةُ الحلّي بالسُلطان المَغولي.

**- فبعثَ كتابهُ إلى العلّامة وأحضرهُ فلَمَّا بَعثَ إليه قالَ عُلماءُ العامَّة** - يعني السُنَّة من الأحناف والشوافع - **إنَّ لهُ مَذْهَباً باطلاً ولا عَقلَ للرَّوافض ولا يليقُ بالمَلك أن يبعثَ إلى طَلب رجلٍ خفيف العقل، قالَ : المَلكُ حتَّى يحضر، فَلمَّا حَضرَ العلّامةُ بَعثَ المَلكُ إلى جميع عُلماء المَذاهب الأربعة وجَمَعَهُم، فَلمَّا دَخَلَ العلّامةُ** - العلّامةُ الحلّي - **أخذَ نَعلَيه بيده ودخلَ المجلس** - أمرٌ غريبٌ على شخص يكونُ داخلاً إلى مجلس السُلطان - **وقالَ: السّلامُ عليكُم، وجلس عندَ المَلك** - وبيده نعلاه - **فَقالوا للمَلك: ألم نَقُل لكَ إنَّهم ضُعفاء العُقول، قالَ المَلك: أسألوا عنهُ في كُلِّ ما فعل** - هذا تعبير فيه عُجمة وما هُو بغريب فإنَّ الَّذي نَقلَ عنهُ محمّد تقي المجلسي، قالَ المَلك: اسألوه وليس اسألوا عنه - **فَقالوا لَهُ: لمَ ما سَجدَت للمَلك وتركتَ الآداب؟ فقالَ: إنَّ رَسولَ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله وسَلَّم كانَ مَلكاً وكانَ يُسَلَّمُ عليه، وقَالَ اللّهُ تعالى: "فَإذَا دَخلتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسكُم تَحيَّةً مِنْ عِنْد اللّه مُبَارَكَة"، ولا خلافَ بَيننا وبَينَكُم أنَّهُ لا يجوزُ السُجودُ لغيرِ اللّه، ثُمَّ قال لهُ** - الَّذي كانَ يُحاججهُ - **لمَ جَلَستَ عندَ المَلك؟ قال: لم يَكُن مكانٌ غيرَه، وكُلُّ ما يَقولُه العلّامةُ بالعَربي كانَ المُترجِمُ يُترجِم للمَلك، فَقالوا لهُ: لأيِّ شيء أخذتَ نَعْلَك معك وهذا ممَّا لا يليقُ بعاقل بل إنسان؟ قال: خفتُ أن يسرقهُ الحنفيّةُ كما سَرقَ أبو حنيفةَ نعلَ رسول اللّه، فصاحَت الحنفيّة: حاشا وكلّا، مَتى كان أبو حنيفة في زمانِ رَسولِ اللّه، بل كانَ تَولُّدهُ بعد المئة من وفاته** - من وفاة رسول اللّه - **فقالَ: فنسيت فَلعلَّهُ كانَ السّارقُ الشافعي، فَصاحت الشافعيّة كذلك وقالوا تَولَّد الشافعي في يومِ وفاة أبي حنيفة وكانَ نُشوؤهُ في المئتين من وفاة رسول اللّه، وقالَ: لَعلَّهُ كانَ مالك فصاحت المالكيّة كالأ وَّلين فقالَ: لَعلَّهُ كانَ أحمد بن حنبل ففعلت الحنبليّة كذلك** - "فعلت الحنبليّةُ كذلك"؛ أنكروا هذا الكلامَ على العلّامة الحلّي - **فأقبلَ العلّامةُ إلى المَلك وقالَ: أيُّها المَلك عَلمتَ أنَّ رُؤساء المَذاهب الأربعة لم يَكُن أحدُهُم في زمنِ الرَّسول ولا الصَّحابة، فهذا أحدُ بِدَعهِم أنَّهم اختاروا من مُجتهديهم هؤلاء الأربعة، ولو كانَ فيهِم مَن كانَ أفضلَ منهم** - يعني أفضلَ من الأئمَّة الأربعة - **بمراتب لا يُجوِّزون أن يَجتهدَ بخلاف ما أفتى واحدٌ منهُم، فقالَ المَلكُ: ما كانَ واحدٌ منهُم في زمانِ رسول اللّه؟ فقالَ الجميعُ: لا، فقالَ العلّامةُ: ونَحنُ مَعاشرُ الشيعة تَابعونَ لأمير المؤمنين نَفسِ رسول اللّه وأخيه وابنِ عَمِّه وَوصيّه، وعلى أيِّ حال، فالطلاقُ الَّذي أوقعهُ المَلكُ باطلٌ، لأنَّهُ لم يَتحقَّق شُروطهُ ومنها العَدْلان** - المَلكُ طَلَّق زوجتهُ فيما بَينهُ وبَينها فلم يَكُن هُناكَ من شُهود عدول - **فَهل قالَ المَلكُ بِمَحضَرِهما** - بمحضر الشهود - **قالَ: لا، ثُمَّ شَرعَ في البَحث معَ العلماء حتَّى ألزمَهم جميعاً، فَتشيَّع المَلك وبعثَ إلى البلاد والأقاليم حتَّى يَخطُبوا بالأئمَّة الاثني عشر ويَضربوا السَكَّة** - العُملة - **على أسمائهم ويَنقشُوها على أطراف المساجد والمشاهد منهُم** - هذه هي الحكايةُ الَّتي نحنُ نَعرِفُها ونرويها ونُردِّدها دائماً ونقول من أنَّ العلّامة الحلّي هُو الَّذي كانَ سبباً في تشيّع المغول وفي انتشار التشيع في إيرَان.

معَ التفاصيل المتقدِّمة والتفاصيل المتبقيّة، هذه الحادثةُ لا قيمة لها في سياق كُلِّ تلكَ الوقائع، تُشَكِّل جزءاً ورُبّما كانت جُزءاً أخيراً إذا كانَ الأمرَ مُرتَّباً، والَّذي يبدو من التدقيقِ في تفاصيل الـ واقعة فإنَّ الواقعةَ مُرتَّبةٌ، ومَن أنَّ العلّامَة الحلّي أو أنَّ تاج الدين الآوجي بالتعاون مع الوزير الشيعي ومعَ الأمير المغولي الشيعي تعاونوا ورسموا هذا المخطَّط من أنَّ المَلكَ يُطَلِّقُ زَوجتهُ ومن دُون شهود، إنَّهُ ما طَلَّقها، ويطرح هذا على عُلماء الأحناف والشوافع وغيرهم لأنَّ جوابَهُم معروفٌ في المسألة وبهذا يفتحونَ البابَ بشكلٍ رسمي للعلّامَة الحلّي أن يأتي، وحينما جاء العلّامةُ الحلّي فإنَّ السُلطان المغولي أقامَ لهُ مدرسةً سيّارةً ويبدو أنَّ الأمر قد خُطِّط لهُ من قبل، هذا لا يعني من أنَّهُ لم تَكُن مَدرسةٌ ولم تَكُن مَكتبةٌ في البِلاط السُلطاني في حال تَنقُّله، لكن حينما صارَ القرارُ أن يكونَ السُلطانُ شيعياً وأن يُرافقهُ العلّامة الحلّي فلابُدَّ من مَدرسة تكونُ سيّارةً لأنَّ السُلطانَ يَتنقَّلُ من مكانٍ إلى مكان بحسبِ ظُروف سَلطنته وعَمَله، ومن هُنا فإنَّ المدرسة الَّتي فُتحت كانَت استمراراً للمدرسة السَابقة وللمَكتبة السابقة، فلقد بَقيَ العلّامةُ الحلّي معَ السلطان أولجايتو خانَ إلى أن تَوفِّي سنة (٧١٦)، بدايةُ مُلكه (٧٠٣)، ويَبدو أنَّهُ تَحوّلَ إلى التشيع من خلال القرائنِ ما بين (٧٠٧ - ٧٠٩ )، بعد أن توفي رجعَ العلّامةُ الحلّي إلى مدينة الحلّة وبقي فيها إلى أن توفِّي سنة (٧٢٦).

في الجزء الثاني من الكتاب نَفسه "الروضات"، ترجمة العلّامة الحلّي، صفحة (٢٧٥): **ثُمَّ إنَّ العلّامة أعلى اللّهُ مَقامَه أخذَ من بعد ذلك بِمَعونة هذا السُلطانِ المستبصرِ الرؤوف** - الحديث عن أولجايتو خان - **في تشييد أساس الحق وترويج المَذْهب على حسبِ ما يشتهيه ويُريد، وكَتبَ باسم السُلطان الموصوف كتابهُ المُسمّى بـ(منهاج الكرامة في الإمامة)، وكتابَ (اليقين) المتقدِّم** - المتقدِّم الذِّكْر الَّذي تَحدَّثَ فيه عن علاقة والده يوسف بن المطهَّر بهولاكو - **ومسائل شتّى وغَيرَهُما، وبلغَ أيضاً من المنزلة والقُربِ لَديه بما لا مَزيد عَليه، وفاقَ في ذلكَ على سائرِ عُلماء حَضرة السُلطان المَذكور** - مثلُ مَن؟ - **مثل القاضي ناصر الدين البيضاوي** - هذه أسماء لامعة في التأريخ السُنّي - **والقاضي عَضُد الدين الإيجي** - إنَّهُ عبدُ الرّحمن عَضُد الدين الإيجي من أئمَّة الشوافع، هذا هو الَّذي وضعَ أهم حاشية على مُختصرِ ابن الحاجب..

إذا ما حدَّثتكُم عن مختصرِ ابن الحاجب في أصول الفقه وسألني سائلٌ: أفضل شرحٍ في نظرِ أهلِ السُنَّة وليس في نَظري، وأنا أتَّفقُ معَهُم أيضاً بحسبِ مقاييسهم، أفضلُ شرحٍ هو شرحُ القاضي عَضُد الدين الإيجي لمختصرِ ابن الحاجب.

هذا هو بِلحمه وشحمه ودمه وعظمه موجودٌ في بِلاط السُلطان المغولي، وهو مُزاملٌ للعلّامة الحلّي وشريكٌ في المدرسة نَفسها، وفي المكتبة نفسها، فلا يُعقلُ أنَّ المدرسة الَّتي أُنشئت للعلّامة الحلّي لا ينتفعُ منها العلماء الآخرون، والمكتبةُ من البداية كانت موجودةً في البِلاط السُلطاني، وهي مشحونةٌ بكُتُب الأحناف والشوافع وسائر المَذاهب العبّاسيّة الأخرى، ومَن هُنا فإنَّ العلّامة الحلّي صارَت كُتُبهُ الَّتي ألَّفها وهو بِصحبة السُلطان المغولي صارت كُتُباً سُنيَّةً بامتياز، ناصبيّةٌ بامتياز، وهذا الأمر يَعرِفُهُ الدَّارسونَ بِدقَّة وبِعُمقٍ لكُتبِ العلّامة الحلّي.

- عرض فيديو لمرجعٍ معاصرٍ محمّد باقر الإيرواني وهو يكتشفُ اكتشافاً عظيماً مع ضَعفٍ في مَعلوماته عن العلّامة الحلّي، وعن حوزته السيّارَة المُتنقِّلة.

تعليق: مع ضَعف الكلام وركاكته لكنَّهُ أشارَ إلىٰ حقيقة: الحوزةُ المدرسةُ السيّارةُ للعلّامة الحلّي مَكتبتها كانت مشحونةً بِكُتب المخالفين، والعلّامةُ الحلّي دراستهُ في الحلّة كانت مُستندةً إلىٰ كُتبَ المخالفين، وها هو يُزَاملُ القاضي عَضُد الدين الإيجي، إنَّهُ صاحبُ الحاشية الأهم على "مختصرِ ابن الحاجب"، القاضي الإيجي توفّي سنةَ (٧٥٦) للهجرة، هُناكَ شخصيّاتٌ أخرىٰ وَردَ ذكرُها.

لكن قبلَ أن أُشير إلىٰ الشخصيّات الأخرىٰ باقر الإيرواني بعد أن ذَكرَ ما ذكر قالَ هـٰذا الكلام: (وبعدين خاف تنشر فرد مرّة، مو صحيح مثل هـٰذي الأمور تنّشر، على أي حال، وإنَّما تبقى بيناتنا فد أشياء نعرفها)، عجيب أمر هـؤلاء! ! إذا كُنتم على الحقّ فلماذا تخافونَ من الحقّ؟ إذا كُنتُم على الباطل إذاً لماذا لا تُفَكِّرونَ بعواقب أموركم؟ هـٰذا المرجع المريجع المعاصر مثلما يقولُ لتلاميذهِ خلّو هاي الأشياء بيناتنا إنَّهُ يُحدِّثُهم أيضاً عن المال المجهول المالك ويـگَـولّهم اخمطوه بأيَّة حال وخلّوا هـٰذي القضيّة بيناتنا.

-عرض الوثيقة الخمطية.

أعودُ إلىٰ بقيّة الكلام، الَّذينَ كانوا في البلاط المغولي: **القاضي ناصر الدين البيضاوي، والقاضي عضد الدين الإيجي، ومحمّد بنُ محمود الآملي صاحب كتاب (نفائسُ الفُنون، وشرحُ المختصر)** – هـٰذا أيضاً عالمٌ آخر من عُلماء السُنَّة من شُرّاح (مُختصرِ ابن الحاجب)..

فإنَّ موضوعَ المحاورة الَّتي دارت فيما بينَ العلّامة الحلّي والسُلطان المغولي وعُلماء الـمَذَاهب أعتقدُ أنَّ فيها شيئاً من المبالغة في إيرادها بالطريقة الَّتي أوردها محمّد تقي المجلسي في شرحه لكتاب الفَقيه، وأعتقدُ أنَّ القضيّة قد تكونُ مُدبَّرةً لأجل أن يتغلَّبَ الشيعةُ في البلاطَ السُلطاني المغولي، هـٰذه احتمالات، نحنُ لا نملكُ دَليلاً على صحّة رواية مُحَمّد تقي المجلسي، فيما يخصُّ طلاق السُلطان لزوجته، أنا لا أُنكرُ واقعة التطليق لكنَّني أتحدَّثُ عن كواليسها، إنَّنا لا نمتلكُ المعطيات والقرائنَ الكاملةَ الَّتي نستطيعُ من خلالها أن نستكشفَ ما جرىٰ في كواليسَ هـٰذه الواقعة.

- **والشيخَ نظامُ الدين عبدُ الـمَلك المراغي من أفاضل الشافعيّة، والمولى بدرُ الدين الشُشتري، والمولى عزُّ الدين الإيجي، والسيّد برهانُ الدين العَبْري، وغيرهُم، وكانَ رَحمَهَ اللّه** - يعني العلّامة الحلّي - **في القُربِ والمنزلة عند السلطان المذكور بحيثُ كانَ لا يرضى بعد ذٰلك أن يُفارقهُ في حضرٍ ولا سفر، بل نُقل أنَّهُ أمر لجنابه المقدَّس وطُلَّابِ مَجلسه الأقدس** - هـٰذا المجلسُ الَّذي يُدرَّسُ فيه الدينُ النَّاصبي مَجلسُ العلّامة - **بترتيب مَدرسة سيّارة ذات حُجرات ومدارس** - مكان للدراسة - **من الخيام الكرباسيَة** - نوعٌ من أنوع القماش - **وكانت تُحمَلُ مع الموكبِ الميمون** - الموكب الميمون للسُلطان المغولي - **أينما يصير، وتُضربُ بأمره الأنفذ الأعلىٰ في كُلِّ منزل ومصير.**

صارَ واضحاً لَديكُم من أنَّ العلّامة الحلّي هو المؤسِّسُ الثاني الحقيقيّ للمَذْهَب الطوسيّ الَّذي عليهِ الشيعةُ اليوم، وساعدَهُ المغولُ في نَشرِ هـٰذا الـمَذْهَب.